مركز حمورابي

استراتيجية الملك المجنون وتطبيقاتها في السياسة الدولية: دونالد ترامب، فلادمير بوتين، كيم جونغ اون، بنيامين نتنياهو انموذجا

استراتيجية الملك المجنون وتطبيقاتها في السياسة الدولية: دونالد ترامب، فلادمير بوتين، كيم جونغ اون، بنيامين نتنياهو انموذجا

بقلم: أ.د سعد عبيد السعيدي

مدير مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

22 كانون الاول 2024

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الابحاث والدراسات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

على الرغم من قلة الكتابات التي تتطرق الى ما يعرف بنظرية الملك المجنون او الرجل المجنون، الا انها نظرية اثبتت مصداقيتها ودورها الفاعل في ادارة قواعد السياسة الدولية، فالمتابع للتجارب الدولية في التاريخ السياسي المعاصر التي تم فيها تطبيق فروض تلك النظرية على شخصيات معينة سيجد حجم التأثير الكبير الذي احدثه امتياز أحد قادة العالم بسمات (الجنون السياسي المخطط).

عموما في عالم اليوم الذي يزداد فيه التوتر والاضطراب بشكل واضح تُعَدُّ فكرة "جنون العالم" أكثر وضوحا مما كانت عليه في أي وقت مضى. ففي كتابها "التوحّش: عودة البربرية"، ترى الفيلسوفة الفرنسية تيريز ديلباش أن القرن العشرين كان قرنا مليئا بالاضطرابات غير المسبوقة والانعكاسات المفاجئة، وأن هذه الاضطرابات أثَّرت على أرواحنا وعقولنا، وخلقت فجوة متنامية بين الإنسان والتاريخ، مما أدّى إلى أزمة وجودية تُهدِد العلاقة بين الوعي البشري ومفهوم الزمان.

وتعزو ديلباش هذا التشويش إلى عدة أسباب، منها: العنف المتزايد، وتطور التكنولوجيا، وانفجار المعلومات، والأشكال الجديدة للعنف. وتشير إلى أن هذه الأحداث المفاجئة قد تكون بمنزلة تذكير بالمآسي التاريخية التي نودّ نسيانها، مثل الحربين العالميتين، ومعسكرات الموت السوفياتية، وحقول القتل الكمبودية. وتؤكد أن مزيج العنف والفُجائية وعدم الاستقرار والفوضى يُؤثّر على التفكير والقدرات العقلية ويؤدي إلى ارتباك عقلي وأخلاقي، وفوضى في الأفكار والسلوك قد تكون أسوأ من فوضى الأحداث نفسها.

تخلق القيادة غير العقلانية التي يتسم بها بعض القادة نمطا مريحا لهم لانها ببساطة تدفع القادة الاخرين الى تجنبهم والتنازل نسبيا امام جنونهم المفترض ، وبث روح الخوف والفزع والحذر والشك والريبة في نفوسهم وتنشيط دور العقلانية المقابلة في تلافي انعكاسات اللاعقلانية والجنون التي ممكن ان تفضي الى مخاطرة وتصعيد كبير وغير متوقع ولا محسوب صادرة عن قائد (متهور او مجنون افتراضيا) ، ففي بعض الاحيان يكون الجنون حيلة اكثر منه حقيقة لا سيما في عالم السياسة ،فالتظاهر بالجنون في بعض الاحيان يعد امرا حكيما مثلما يرى نيكولا ميكافيللي.

وفي إحدى الأوراق البحثية التي نُشرت عام 2019 في المجلة البريطانية للعلوم السياسية والصادرة عن منشورات جامعة كامبردج، تحت عنوان "مجنون كالثعلب؟ تمت مناقشة مستفيضة حول السؤال الاتي : هل القادة الذين لديهم سُمعة بالجنون أكثر نجاحا في فرض الإكراه الدولي؟"، وقد وردت بعض الاجابات تؤيد فكرة (مدى فعالية القادة الذين يعتمدون على سُمعة الجنون في تحقيق نجاحات في الضغوط الدولية وإكراه الدول المنافسة على الرضوخ) . وقد وجدت الدراسة أنّ الجنون المُتصوَّر قد يكون له تأثير إيجابي على نجاح الزعامة والقيادة بهذا الأسلوب في حالات معينة، لكن له آثار سلبية على المدى الطويل خاصة عندما يظهر أن الجنون المُتعمَّد قد يُحقّق مكاسب في المدى القصير من خلال تخويف الخصوم وإثارة الرعب في نفوسهم، ولكن هذا النهج محفوف بالمخاطر ويُمكن أن يُؤدي إلى زيادة التصعيد عندما يفشل في إقناع الخصوم بالتراجع ، وهم يشيرون بالطبع في دراساتهم هذه الى رئيس كوريا الشمالية كيم جونغ اون دون الاشارة الى بعض قادة الغرب الذين تنطبق عليهم نفس السمات والذين سنذهب الى مناقشة افكارهم لاحقا في هذا المقال .

وقد اشار قبل هذه الدراسة البريطانية، الامريكي توماس شيلينج الحاصل على جائز نوبل والمتخصص في ادارة الصراع على المستوى الاقتصادي في كتابه "إستراتيجية الصراع" (The strategy of conflict) الصادر عام 1960، الى نظرية اللعبة في الميدان الاقتصادي وادخلها لأول مرة إلى عالم العلاقات الدولية والسياسية، وذلك إبان ذروة سباق التسلح النووي أواخر خمسينيات القرن الماضي. حتى ذلك الحين، كانت النظرية المعنية بتحليل عمليات المنافسة وتضارب المصالح وتحليل سلوك مختلف اللاعبين حكرا على عالم الاقتصاد منذ وُضعت أسسها على يد جون فون نيومان وأوسكار مورغان شتيرن قبل نحو عقدين، قبل أن يفترض شيلينغ أن إستراتيجيات النزاع بين الأطراف المتحاربة لا تختلف كثيرا عن إستراتيجيات المساومة والمنافسة في الأسواق الاقتصادية.

ولربط الافكار مع بعضها وللتمهيد لتوضيح فكرة المقال المتعلقة بأوليات نظرية الملك المجنون نذكر ان شيلينغ قرر هنا أن يطبق نظرية اللعبة التي تم تطويرها على يده في مجال الصراع الاقتصادي على مسألة "الردع النووي" على وجه التحديد، مشيرا إلى أن التهديد "باستخدام السلاح النووي" بحاجة إلى مصداقية من أجل التأثير وتحقيق الردع، وهو ما يدفع القوى النووية لتحديث ترساناتها باستمرار للوصول إلى نوع معين من التوازن ضد بعضها البعض، ولكي يبقى هذا التوازن في إطار الردع، فإنه يحتاج إلى وجود مصلحة مشتركة بين الأطراف المتنازعة، تردعها عن اتخاذ قرارات "غير عقلانية" تقود إلى التدمير العشوائي. وفي غياب هذه المصلحة

تتخذ التعزيزات النووية والتهديدات طابعا "انتقاميا" وتزيد من فرصة شن هجمات أولية ترقى إلى مستوى الدمار الشامل.

يُعرف ذلك عند شيلينغ بـ"السلوك غير العقلاني"، وهو سلوك مُرتبك ومُدمِّر لأحد طرفَيْ النزاع ناجم في المقام الأول عن سوء تقديره لِنِيَّات الطرف الآخر، أو لامتلاكه "نِيَّات تدميرية أصلية نتيجة غياب المصلحة المشتركة، وهو ما يدفع هذا الطرف "غير العقلاني" للتصرف باستباقية لتعزيز فرص فوزه في المواجهة، وهو ما يُطلق عليه عادة "منطق الملك المجنون"، ويعتقد كثير من الباحثين اليوم أن شيلينغ كان أول مَن أشار إليه، وإنْ لم يذكره بالاصطلاح ذاته المتداول اليوم.

ان اول واهم مثال في التاريخ المعاصر لتطبيقات الملك المجنون جاءت مع ثنائية ريتشارد نيكسون – هنري كيسنجر ، حيث طالما كان كيسنجر يتذرع في مفاوضاته مع المفاوضين الصينيين انه يتحرك بدافع شخصي تملي عليه روح العقلانية لتحسين العلاقات مع الصين في ظل ادارة يترأسها رئيس مجنون قد يفعل اي شيء ، وقد كان هذا الاسلوب وسيلة ترهيب وظفها كيسنجر بالاتفاق مع نيكسون لترهيب الصينيين ودفعهم لتقديم تنازلات اكبر ، وتم تكرار هذه الاستراتيجية مع المفاوضين الفيتناميين حينما اخبرهم بان في البيت الابيض رئيس اقرب الى الجنون قد يلجا الى تدمير فيتنام بشكل كامل ان لم يتنازلوا عن بعض شروطهم في التفاوض، فمثلا كان نيكسون يتعمد تسريب معلومات مضللة عبر مستشاريه انه رئيس مجنون وانه لا يستبعد ان يستخدم اسلحة نووية ضد الثوار الفيتنامين لتحقيق اعلى قدر من المكاسب في المفاوضات او لوضع العالم تحت الضغط، وقد كان نيكسون يتقن الدور بشكل ملفت الى الدرجة التي اقنع فيها الجميع انه رئيس ذو سلوك جنوني ، ولكنه نفذ هذا الدور تحت سقف معايير عقلانية ومحسوبة ومتوازنة بشكل دقيق .

واليوم يتكرر المشهد في الولايات المتحدة مع الرئيس دونالد ترامب ، حيث ساهمت طريقة خطاب ترامب وسلوكه حيال البيئتين الداخلية والخارجية سواء خلال فترة ولايته الاولى او خلال فترة الترويج لبرنامجه الانتخابي في تشكيل تصور عام على المستويين الشعبي والرسمي على انه شخصية انفعالية ومتهورة تفتقر الى القدر الكاف من العقلانية والاتزان ولا يمتثل لاراء ومشورة المستشارين والوزراء ، ففي عام 2016 أشار العديد من المحللين في الصحف الأميركية مثل "واشنطن بوست" و"بوسطن غلوب" إلى استفادته من إستراتيجية الملك المجنون في إدارة السياسة الخارجية للبلاد ، كما ان فريقه وبعض المؤسسات العميقة في الولايات المتحدة المسؤولة عن صنع القرار في الولايات المتحدة يروجون ربما بطريقه غير مباشره لفكرة ان الرئيس ترامب قد يقترب في بعض قراراته السياسية والاقتصادية والامنية من مرحلة الجنون والطيش ، وقد تفضي قراراته

بتدمير مصالح دول اخرى اذا لم يستجب صناع قرارات تلك الدول لرغبات ترامب ، او التعامل معه بحذر وواقعية تامة بشكل يضطرون فيه للتنازل عن الجزء للحفاظ على الكل ، وهذا بالضبط ما تنص عليه نظرية الملك المجنون ، حيث ينجح اليوم ترامب عبر تقمصه لشخصية الرئيس المجنون المتهور بإرغام العالم على تقديم التنازلات للولايات المتحدة عبر المفاوضات او بدونها مقابل عدم استفزاز رئيسها المتهور .

وكانت صحيفة الواشنطن بوست في 23 من تشرين الثاني 2024 قد نشرت مقالاً تحت عنوان "ترامب ونظرية الرجل المجنون". ركزت الفكرة الأساسيّة للمقال على أنّ التناقض الموجود بين رئيس غير محترف، غير تقليدي، ولا يمتلك الخبرة اللازمة، وبين عدد من المسؤولين الذين قام بتعيينهم في مراكز أساسية وحسّاسة في الإدارة الأمريكية وأجهزة الدولة ممّن يتمتعون بخبرة عميقة قد يكون أمراً مفيداً للولايات المتّحدة على مستوى علاقاتها بالدول الأخرى.

ويشير المقال بالتحديد إلى الشخصيات التي عيّنها ترامب في وزارة الدفاع والاستخبارات والأمن القومي بالإضافة إلى مستشاره الجديد للأمن القومي، ويعتبر أنّ التناقض الموجود بين خطاب ترامب وأفعال هؤلاء المسؤولين في هذه المواقع سيخلق وضعا يشبه إلى حد ما الحالة "النيكسونيّة" التي أنتجت نظرية "الرجل المجنون". في عهد نيكسون، مال خصوم الولايات المتّحدة آنذاك إلى التعامل معها بحذر لأنّهم كانوا يعتقدون بأنّ الرئيس الأمريكي شخص لا يمكن توقّع تصرفاته، ومتهوّر في العادة، وعلى الأرجح مجنون وخطير، باختصار يعد ترامب وفقا لهذه النظرية شخص خطر ولا يمكن التنبؤ بتصرفاته بسهولة وهو امر مرعب للكثير من الدول.

كما تنطبق نظرية الملك المجنون ايضا على الرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتين ، حيث يلوح بوتين دائما بنفس الورقة عندما يلمح الى انه ليس من المستحيل ان يفقد صبره ويستخدم السلاح النووي ضد اوكرانيا او الخصوم ، فعلى سبيل المثال، منذ شباط 2022، شككت العديد من التقارير الغربية في السلامة العقلية للرئيس الروسي بوتين ضمن الحملة الغربية المضادة للحرب الروسية في أوكرانيا، مستشهدة بالتهديدات الروسية عالية المستوى باستخدام السلاح النووي واستعراض الصواريخ القادرة على حمل رؤوس نووية، في المقابل جادلت ورقة بحثية نُشرت في المجلة الإستونية للدراسات العسكرية أن الرئيس بوتين ربما يستفيد عن عمد من الأفضلية التي يوفرها "منطق الملك المجنون" في نظرية الألعاب، وهو أمر سبق أن أشار إليه شيلينغ في كتابه، مفترضا أن "الجنون المتصور" يمكن أن يعزز المصداقية في المساومات القسرية، مما يعني أن أي طرف يمكنه استخدام "منطق الملك المجنون" جزء من إستراتيجيته في الصراع بشكل واعٍ وعقلاني للتأثير في خصومه بفاعلية.

كما تثير تصرفات كيم جونغ أون المدروسة، حالة من الغموض التي تحفز الشك والريبة لدى الخصوم، مما يزيد من احتماليات التصعيد إلى مستوى الصدام النووي. ويمكننا اعتبار النموذج الكوري الشمالي بوصفه مثالا واضحا على فاعلية وجاذبية تطبيقات نظرية الملك المجنون، حيث يلعب الرئيس الكوري الشمالي بورقة "الرئيس المجنون" ليُحقّق مكاسب سياسية وعسكرية، وذلك عبر بثّ الخوف والرهبة في نفوس خصومه، خصوصا انه يدعم موقفه بمحاولة ترسيخ إدراك حقيقي لدى الغرب بانه يريد تدمير الولايات المتحدة ويشعر برغبة في الانتقام المتراكم منذ الحرب الكورية في الخمسينات من القرن العشرين. وهكذا تخلق الأفعال غير المتوقعة والمخاطرات العالية في السياسة الدولية بيئة خطرة يمكن أن يؤدي سوء التقدير فيها إلى كوارث لا يمكن تداركها.

ويتقمص رئيس وزراء حكومة العدو الاسرائيلي بنيامين نتنياهو سلوك مقارب جدا لسلوك الملك المجنون حينما يتخذ خطوات عسكرية جنونية على الارض قوامها مهاجمة الاهداف المدنية والعسكرية على حد سواء واتباع طريقة التدمير الممنهج والمذابح البشرية والتطهير العرقي ضد العرب في فلسطين ولبنان وسوريا ، ووضع كل دول المنقطع تحت رحمة هذا الجنون السياسي الذي لا يتحفظ عن ارتكاب اي عمل مهما كانت فضاعته ، وقيامه باستهداف واغتيال اي قائد او زعيم مناوئ لسياسة اسرائيل ومنهم قيادات حزب الله وحماس وقد يكون بجعبته شخصيات اخرى ، والتهديد المستمر بقصف اي هدف في اي دولة يرى انه يهدد امن اسرائيل بما فيها احتمال توجيه ضربة للبرنامج النووي الايراني بعد تامين الجبهتين اللبنانية والسورية .

ان هذا السلوك يجعله مثالا لشخصية الملك المجنون الذي من الممكن ان يتخذ اي قرار مهما كانت نتائجه مروعة وكارثية بشكل يدفع اعداءه الى محاولة تجنبه عبر الاضطرار الى التنازل عن بعض حقوقهم.

لا شك أنّ مثل هذا التصور جميل، وهو مؤثّر بالفعل عندما يكون ناتجاً عن حالة وعي، وعندما يتم تنفيذه عن سابق تصوّر وتصميم لكن الموضوع يتعلق بجانبين اساسيين قبل الحكم على مدى نجاحه : الاول يتعلق بمستوى القدرة على تقمص هذا الدور باحترافية عالية سواء من قبل الرئيس او من قبل فريقه بشكل عام ، فالموضوع يشبه السيناريو التمثيلي كلما كان الممثلون بارعون والاخراج جيد كلما اقتربوا من اجبار المتابعين على تصديقه وبالعكس ، ومن هنا فأن الرؤساء الثلاث يبدوا انهم اجادوا الدور ولكن ليس بشكل تام وقطعي وهو الامر الذي ينقلنا الى الجانب الثاني وهو : ان امر نجاح نظرية الملك المجنون في السياسة الدولية الراهنة يتعلق بشكل كبير بالمصداقية التي يدعمها التنفيذ لا الاقوال والتصريحات فقط ، انها تشبه عملية الردع النووي الى حد ما، فالردع النووي يقوم على اساس ابداء الاستعداد والعزم في الرد على المهاجم بالسلاح النووي

مهما كانت العواقب كارثية ، ومن اجل اقناع الطرف الاخر بالحزم والعزم على استخدام الردع النووي يجب ان يتحلى الطرف الرادع بالمصداقية المبنية على قدرات كافية وقرار صارم ، ومن هنا فأن الملك المجنون او الرئيس المجنون اذا لم يدعم سلوكه اللفظي وخطابه السياسي بأفعال حقيقية فأن النتيجة بطبيعة الحال هي فشله في تسويق نفسه على انه مجنون يمكن ان يقدم على كل شي ضد خصومه حتى لو كان سلوكه غير عقلاني تماما.

فهل يمكن ان يقدم مثلا رئيس كوريا الشمالية على مهاجمة الولايات المتحدة نوويا او مهاجمة حلفائها بمجرد انهم يهددون الامن القومي الكوري الشمالي وبالتالي عليه ان يتلقى نتيجة سلوكه بهجوم نووي شامل قد يلغي وجود دولة كوريا الشمالية تماما ؟ ، او ان يقوم بوتن باستخدام الاسلحة النووية ضد اوكرانيا لمجرد عدم نجاح روسيا بالتفوق على اوكرانيا في الحرب او الفشل في ردع سياسة الاستنزاف التي يفرضها الغرب على روسيا عبر اوكرانيا وبالتالي تتحمل روسيا ضربة نووية ثانية من الغرب او على الاقل حصار تام اقتصادي وسياسي وثقافي فضلا عن تأليب الراي العام العالمي ضدها؟ وهل يمكن لترامب مثلا ان يذهب الى تفعيل بعض وعوده الانتخابية المتعلقة بالناتو وبالنتيجة ينسحب من الناتو او يفككك الناتو ويسمح ببروز قوى دولية منافسه قد تتمدد على حساب الغرب ويدفع بعض الدول الاوربية الى التحول بتحالفاتها لحماية امنها؟ من يجيب على هذه الاسئلة بطبيعة الحال هو السلوك السياسي لهؤلاء الرؤساء.

ما نريد ان نقوله هو ان نظرية الملك المجنون هي نظرية حقيقية لها تطبيقاتها على الواقع غير اننا يجب ان لا نبالغ في فاعليتها وقدرتها على تفسير سلوك بعض الرؤساء ومن بينهم الرؤساء الثلاث ، فعلى الرغم من محاولة هؤلاء الرؤساء الاستفادة من تطبيقات هذه النظرية غير ان دقة البيانات والمعلومات التي باتت دول العالم قادرة على الحصول عليها في ضوء الدبلوماسية المفتوحة تسمح للمحللين السياسيين وصناع القرار التعرف على حقيقة نوايا هؤلاء الرؤساء، لا سيما ممن امضى منهم فترة طويلة في السلطة وخضعت تصرفاته وقراراته للقياس والتحليل والتفسير بشكل اصبح سلوكه السياسي مكشوف الى حد ما لا يمكن التعمية عليه بخطاب سياسي او اعلامي مدروس ومخطط له .

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في 25-4-2012 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسيات الاستراتيجية

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة